AL-HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTER

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإتسانية
العدد الثالث، الاصدار الخاص، سبتمبر 2020
E-ISSN: 2637-0581

الشخصيات في قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ: اكتشاف القيم التربوية الإسلامية

The Characters in the Novel of the Journey of Ibn Fattouma by Naguib Mahfouz: Discovering of Islamic Educational Values

د. محمد نعيم مجيد*

الملخّص

يتحدّث هذا البحث عن الشخصيات في قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ كشفًا عن القيم التربوية الإسلامية. كما هو المعلوم أن دراسة الشخصية ترتبط بمجال التربية ارتباطًا وثيقًا حتى ينظر الإسلام أهميتها مرآة في تكوين الأجيال المتأدبين. وأصبحت القصة وسيلة من وسائل التربية يستخدمها الأدباء أو الكتّاب في التعبير عن الظواهر والمشاهد والانفعالات النفسية وهي حافلة بالقيم والمواعظ، سواء كانت مسطورة أم مكنونة. فاعتبر الباحث أن هذه الدراسة ضرورية للكشف عما يستر ولبيان ما لم يظهر. فقد قسّم الباحث بحثه إلى ثلاثة بحوث رئيسة: الأول عن مفهوم الشخصية وأنواعها في القصة، الثاني حول التربية الإسلامية وأهدافها المهمة، والثالث عن القيم التربوية الإسلامية في شخصيات قصة رحلة ابن فطومة. أما منهج هذا البحث، فقام الباحث بتحليله الاستقرايئ باستخدام طريقة وصفية استنباطية للوصول إلى نتائج مهمة وموثوقة بها. ومن أهم النتائج أن القيم التربوية الإسلامية محتوية في شخصيات أبطال القصة، فهي متكوّنة من قيمة التعلم والتعليم، وقيمة الجهاد والاجتهاد، وقيمة الإيمان والدعوة، وقيمة التأمل والنقد، وقيمة الصبر، وقيمة التفاؤل، وقيمة الطاعة. وهذه القيم متكاملة ومتجهة إلى هدف واحد، وهو الوصول إلى دار العدل الحقيقي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية؛ القصة؛ الاكتشاف؛ القيم؛ التربوية.

Abstract

This paper talks about the characters in the novel of “the Journey of Ibn Fattumah” by Naguib Mahfouz, to disclosure the Islamic educational values. As we knew that character research is closely connected to the education field and Islam looks at the importance of this element as main highlight in building educated generations.

* قسم تعليم اللغة العربية جامعة محمدية يوكياكرتا، إندونيسيا، naimmadjid@umy.ac.id

Meanwhile, the story has become an instrument of a writer to disclose the phenomenon, imageries, and emotional expressions by taking values and lessons inside it. This study is strongly considered by the writer as one of needs for development of our educational concept. The discussion has taken three main chapters: Character and its types in the story, Islamic education and its important aims, and Islamic educational values in the characters in the novel of "the Journey of Ibn Fattumah". This paper uses qualitative method and descriptive analysis approach to reach reliable results. The most important result is Islamic educational values can be overviewed in the characters of the actors in the novel of "the Journey of Ibn Fattumah" are learning and teaching values, strive and struggle values, belief and invitation values, reflection and critics values, patient and obedience values, which all these elements are integrated in the one destination, is to arrive in the justice place .

Keywords: Character; Story; Discovering; Values; Educational.

المقدمة

مفهوم الشخصية

اشتقت كلمة "الشخصية" في اللغة العربية من شخَصَ يشخَصُ "بفتحتين" شخوصًا، أي خرج من موضع إلى غيره، والشخص سواد الإنسان تراه من بعيد ، ثم استعمل في ذاته، والشخص كل جسمٍ له ارتفاع وظهور، والشخوص: السير من بلد إلى بلد، وشخص بمعنى ارتفع، وشخص الشيء عينه وميزه مما سواه، والشخصية صفات تميز الشخص من غيره .

ومصطلح الشخصية يضم أية سمة أوصفة لها صلة بشكلٍ أو بآخر بقدرة الفرد على التكيف في محاولته الحفاظ على احترامه لذاته. ومن هنا يمكن القول بأنّ أيّ وصفٍ لشخصية الفرد يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مظهره العام وطبيعة قدراته ودوافعه، وردود أفعاله العاطفية، وكذلك طبيعة الخبرات التي سبق أن مربها، ومجموعة القيم والاتجاهات التي توجه سلوكه. إنّ مفهوم الشخصية اصطلاح عام وشامل .

وفي اللغات الأوروبية اشتقت كلمة "شخصية" من كلمة Person وهو القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة ليظهر أمام الناس بمظهرٍ معين .

الشخصية في الأدب ركن أساسي من أركان الرواية، وهي العنصر الفاعل الذي يساهم في صنع الحدث، يؤثر فيه ويتأثر به، ودون الشخصية العاقلة المدركة يفقد كل من

الزمان والمكان معناهما وقيمتهما، فعلى الرغم من وجود الزمان والمكان مستقلين عن الإنسان، فإنهما يظلان بلا قيمة حقيقية خارج وعي الإنسان، والشخصية في الأدب تؤخذ من الواقع، ومع ذلك فإنها تختلف بطريقة أو بأخرى عمن نألفهم أو نراهم، فالكاتب القصصي يهتم باستبطان شخصياته، وهو حين يخلق شخصياته من الواقع إنما يستعين بتجاربه التى عاشها أو عاناها أو لا حظها، والكاتب وإن كان بعرف كل شيء عن شخصياته؛ فإنه لا يفضي بكل شيء، فلا يحق له أن يذكر تفصيلات الحياة اليومية إذا لم تكن على صلة بأحداث القصة أو فكرتها، ولا تدل على الحالة النفسية للأشخاص، أو على عاداتهم وتقاليدهم، والأشخاص في القصة هم مدار المعاني ومحور الأفكار والآراء العامة.

والشخصية يمكن أن تظهر في العمل الفني، على ثلاثة أشكال: "شخصية الفنان، وشخصية من يجري تصويره، أو الإنسان بطل العمل الفني، وشخصية ذلك الذي يوجه إليه العمل الفني. هذه الشخصيات الثلاثة، تقف وكأنها ثلاث مرايا متواجهة، وكل منها تعكس المرآتين الأخريين" . والشخصية لا يكون لها معنى في بنية العمل الروائي إلا إذا كانت لها وظيفة تمارسها في علاقتها مع الشخصيات الأخرى والحوادث .

والنقد المعاصر يعطي الشخصية أهميةً خاصة، حيث يعتبرها النقاد أساس بناء الرواية و سبب نجاحها، فالشخصية تلعب دورا كبيرا في بناء الرواية، فهي مركز الأفكار، ومجال المعاني التي تدور حول الأحداث، "والشخصية الروائية تستمد أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع الذي تعيش فيه، وتكون عادة ذات طابعٍ مميز عن الأنماط البشرية التقليدية التى نراها في حياتنا اليومية، فلا تشذّ هنا بثرائها غير المألوف، فهي ذات ثراء دلالي، وغنية في جوانبها النفسية والاجتماعية والجسمية، وتمثل نماذج متفردة يضمها الواقع الإنساني. وهي أيضًا تحفل بالعمل والحركة . "...

أما الكاتب المبدع فيقدّم شخصياته الإنسانية على دفعات من خلال أفعالها وصراعاتها مع نفسها ومع البيئة المحيطة، وتشكل الشخصيات مرآةً عاكسة تعكس الرؤية الفنية للكاتب، فإذا كان الكاتب فيهدف إلى تقديم مجموعة أحداث الإثارة فضول القارئ، فإن الشخصية تتراجع لتكون خادما للحدث، أما إذا نبعت الأحداث من طبيعة الشخصية فإنها تأتي مبررة و منطقيةً ومنسجمة مع الواقع.

وقد تتمرد الشخصية على مبدعها وخالقها فترفض أن تبقي انعكاسًا لرؤية الكاتب الفنية؛ لأنّ لها قانونها الحياتي الخاص، وظروف نشأتها، ودراستها وبيئتها، وعملها، والإنسان الذي تحبه أو تكرهه، فلا يجوز للمبدع أن يتحكم بها .

والشخصية تعمل على عدّة مستويات في ذات الوقت، مستوى ماتراه الشخصية، ومستوى ما تفكر به، ومستوى الحركة الخارجية، وهذه المستويات المختلفة للسرد تعمل متكاملةً، مما يعطي للألفاظ دلالات خاصة .

وعندما تكون الشخصيات متوترة يجيء الأسلوب ملونًا بالتوتر والتماوج والانتقالات الفجائية الحادة، والصعود والهبوط المباغتين بدلاً من الاستقامة الرأسية.

وفي الأعمال الروائية المعاصرة نجد أن الزمن يشكل الشخصية الرئيسية، وقد أصبحت العودة إلى الماضي، وقطع التسلسل الزّمني في الرواية ركنًا أساسيًا من أركان الحكاية وبنائها الفني.

ولابد للشخصية من وجود حقيقي وواقعي، هذا الوجود الحقيقي يساعد على إعادة بناء الشخصية وإعطائها ملامحها الدقيقة، وليس معنى هذا أن الروائي يكتفي بالتقاط الصور من الحياة كما هي، بل إنه يقوم بإعادة صياغتها وتشكيلها، "فالشخصية الروائية هي محصلة لكثيرٍ من الشخصيات الواقعية في نفس الوقت" . والشخصية في الأدب الاشتراكي والواقعي ليست وقفًا على طبقةٍ اجتماعيةٍ معينةٍ، فقد أصبح أفراد عاديون شخوصا بل أبطالًا للروايات المعاصرة. "نفي الفن الواقعي ينعكس المجموع في الفرد، والفرد في المجموع، وفيه يعمل كل فردٍ مستقلاً، ويؤكد ذاته ككائنٍ اجتماعي. "

والشخصيات في الرواية لا تختلف عن الشخصيات الحقيقية في تأثرها بالتجارب التي تمر بها في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا وفي تطورها بسموها أو انحدارها، والشخصية التي نراها في ختام الرواية ليست هي نفسها التي نراها في بدايتها، والتغير الحاصل هو نتيجة هذه التجربة بخيرها وشرها، لذلك نسميها الشخصية النامية لأنها تنمو من خلال الأحداث، ولا نستطيع التنبؤ بسلوكها لأنه غير معروف أو محدد، والتجربة كثيرا ما تقودها إلى صراع داخلي بين الخير والشر. أما الشخصية التي لا تتأثر بما يمر بها من تجارب في أحداث الرواية، وتظل كما هي لا تتغير في بداية الرواية ونهايتها، فهي الشخصية الجاهزة لأنها ذات نمط واحد يتكرر باستمرار.

كان روبيرت دياني – Robert Diyanni – يعمم هذه التقنيات إلى قائمة المناهج الرئيسية عن تعبير الشخصية في الرواية، منها: لملخص السردي دون حكم، الوصف السردي مع الحكم الضمني و الحكم الصريح، تفاصيل السطحية من المظهر الخارجي، حدث الشخصية هو ما يفعلون ، كلام الشخصية هو ما يقولون وكيف ما يقولونه، وعي الشخصية هو ما يفكرون ويشعرون.

وللشخصية علاقة قريبة مع الحدث في الرواية. فلا يمكن الفصل أو التفرقة بينهما؛ لأن الحدث الشخصية وهي تعمل أو هو الفاعل وهو يفعل. فلو أن الكاتب اقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل لكانت قصته أقرب إلى الخبر المجرد منها إلى القصة؛ لأن القصة إنما تصور حدثًا متكاملاً له وحدة، ووحدة الحدث لا تتحقق إلا بتصوير الشخصية وهي تعمل، أي عندما يجيب الكاتب على أسئلة أربعة وهي: كيف، وأين، ومتى، ولم وقع الحدث .

كما قول الدكتور طاهر أحمد مكي أن القصة وحدة متكاملة، لا يتضح معنى الحدث أو يقوم في جزء منها دون الأجزاء الأخرى، فاالحدث والشخصية والمعنى وحدة، ويساند كل منها الآخر ويقوم على خدمته.

أنواع الشخصيات في الرواية

أولًا: الشخصيات الحقيقية أو الخالقة أو المبدعة

تتمثل الشخصيات الحقيقية في الأشخاص الحقيقيين الذين يساهمون في إبداع العمل الأدبي، إذا لا بد لكل عمل أدبي من مبدع يبدعه ويقدمه لجمهور القراء. والمبدع الحقيقي وهو المؤلف الذي يكتب العمل، يوجّه احتمامه إلى قارئ حقيقي في الوقت نفسه. والقارئ الحقيقي له دور جوهريٌ في تأويل النص الأدبي، ولذا فإنّ الكاتب لا يهمل القارئ، ولكنه يطالبه أن يساهم مساهمة واعية وخلاقة، فالقارئ مطالب بأن يساهم في عملية الخلق الأدبي عن طريق اختراع هذا العمل الذي يقرؤه . وتشتمل هذه علىالكاتب وهو المؤلّف الأوّل للعمل الأدبي، فإن القارئ الحقيقي هو المؤلّف الثاني لهذا العمل، ولكي يكتمل العمل الأدبي يجب أن يتحول القارئ إلى مؤلّف للنص.

ثانيًا: الشخصيات المخلوقة أو المتخيلة

المؤلف والقارئ الحقيقي بنوعيه: القارئ العادي والقارئ الناقد، هم شخصيات حقيقية خالقة تساهم في عملية الخلق و الإبداع الأدبي، وهم شخصيات من لحمٍ ودم تعيش الواقع بكل جوانبه، تؤثر فيه وتتأثر به، تغير و تتغير، فالكاتب يحاول إعادة تشكيل الواقع من وجهة نظره هو، كما أن القارئ يحاول كسوة العمل الفني بالرداء الذي يناسب وجهة نظره، فيخرج وقد تكونت لديه رواية جديدة من الرواية التي قرأها .

وفي مقابل الشخصيات الحقيقية الفاعلة والخالقة نجد شخصيات مخلوقة متخلية، لا وجود لها إلا في ذهن المؤلف أو القارئ الناقد الذي يحاول الفصل بين شخصية المؤلف مثلاً، وبين شخصية الراوي أو الراوي، كما أن الناقد يحاول الفصل بين القارئ الحقيقي والقارئ المتخيل الذي يطلقون عليه مصطلح المروي عليه أو المروي عليه، وهذه الشخصيات تشمل:

1. الراوي هو تلك الشخصية التي تروي الأحداث في الرواية، وقد يقوم بالقص بوصفه شخصية داخل الرواية، أو من خارجها، فإذا ما كان شخصية من شخصيات

عمله الأدبي فإنه يستعمل ضمير المتكلم في القص، أما إذا وجد خارج العمل الأدبي فإنه يستخدم ضمير الغائب.

2. المروي عليه هو شخص يوجه إليه الراوي خطابه، وهو خلق متخيل كالراوي تمامًا، يستعين بهما الكاتب في تحقيق وضعية سردية ما.

أما الشخصية من حيث الدور، فهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

1. شخصية رئيسية: وهي المحور الرئيسي الذي تدور حوله أحداث القصة "البطل" وتكون في نفس الوقت المحرك الخفي لتلك الأحداث .

2. شخصية ثانوية أو مكملة: ويلجأ القاص إلى استخدامها في إدارة بعض الأحداث الجانبية المساعدة على تسيير الحدث الرئيسي أو الإظهار شخصية البطل وتوضيح معالمها عن الطريق الكشف عنها أو معارضتها، فالشخصيات الثانوية أهميتها كأهمية مللح للطعام. والشخصيات الثانوية غالبًا ما تكون غير نامية "مستوية" وهي تتطلب نوعًا من التوازن بينها وبين شخصية البطل، بحيث تذوب الشخصيات الثانوية في شخصية البطل .

3. الشخوص: وهم يشكلون المنظر الخلفي، ولابد من وجودهم لا ستكمال الصورة، شريطة أن يظلوا بعيدين عن الإدراك.

وقد قسم النقاد الشخصيات من حيث الثبات والتطوّر إلى :

1. شخصيات بسيطة أو مسطحة

وتتسك بالثبات على وجه واحد من أول القصة إلى آخرها، وتقوم حول فكرة واحدة، أو صفة دائمة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث، وللشخصيات الثابتة فائدة كبيرة لكل من الكاتب والقارئ، فالكاتب يستطيع بلمسةٍ واحدةٍ أن يقيم بناء هذه الشخصية، فهي لا تحتاج إلى تقديم أو تفسير، ولا إلى تحليل والبيان، وخاصة في قصص الشخصيات. أما القارئ، فإنه يجد في مثل هذه الشخصيات بعض أصدقائه ومعارفه الذين يقابلهم كل يوم .

والشخصية البسيطة أو ذات المستوى الواحد، تخلو من التعقيد والمفاجأة، فلا نتوقع تغييرًا جوهريًا في موقفها من الأحداث أو الشخصيات الأخرى، وهي لا تصور نمو الإحساس الإنساني وتطوّر الفرد إزاء قضايا الحياة وصراعه المستمر في سبيل تأكيد وجوده، ويسمى هذا النوع من الشخصيات "الشخصيات المسطحة" وتتميّز بطابعها الفكاهي وتساعد على حركة الشخصية المستديرة . ومن أمثلة الشخصية البسيطة، شخصية "الفارس" و"الراعي" في قصص الفروسية، فإذا قدّم الكاتب الشخصية البسيطة في حالة استغراق، فإنها تتعقد في عاطفتها، وتنمو داخليًا وترتبط بصراعٍ مع المجتمع، فتبدأ في التحول إلى شخصية من الشخصيات النامية .

2. الشخصية النامية

وهي الشخصية التي لا تبدو للقارئ في الصفحات الأولى، بل تتكشف تدريجيًا، وتتطور بتطور القصة وأحداثها، وتتطور نتيجة تفاعلها المستمرمع الأحداث . ويطلق عليها بعض النقاد مصطلح الشخصية المتطورة أو الدائرية، وهناك رابط خفي يربط بين تطور الأحداث وتطور الشخصيات، وبتفاعلهما معًا ينتج التأثير الفني للقصة ، ويقدّمها القاص على نحو مقنعٍ فنيًا،"وقد يظهر الكاتب الشخصية النامية متكافئة مع نفسها، فتبدو منطقية في تصرفاتها، خاضعةً للتفسير والتبرير" . كما أنه قد يظهرها معقدةً، فيبدو سلوكها غير منطقي، فتختلط الأمور، والشخصية النامية يكون تطورها بطيئًا في البداية، "ثم لا تلبث أن تتقدّم و تكشف عن جوانبها الثرية كلما تطورت الحكاية، فهي شخصية حافلة بالعواطف المعقدة، والتغييرات المفاجئة. "

وتتميّز الشخصية النامية بطابعها الدرامي، فهي تشكل الاستثناء الدائم؛ لأنها تحطم العادة أو تتحطم من أجلها، فهي تكشف حقيقة ذاتها، وتحيل طبيعتها الحقيقية إلى دراما، وخلافا للشخصية المسطحة، فإنّ كلام الشخصية النامية حقيقي، بينما كلام الشخصية المسطحة هو حديث مظهري أو رمزي.

والرواية الحديثة تسعى إلى تقليل سيطرة الراوي العالم بكل شيء وتعزيز مكانة الشخصية، فقد ذهب كل من (سكولز وكيلوج) إلى أن سبب علو شأن منظور الشخصيات يرجع إلى التطورات الثقافية الكبيرة التي تميز بها العصر الحديث، بحيث أصبح العقل البشري لا يميل إلى الرؤية الواحدة للأشياء، وإنما تميل إلى التشعب والنسبية، فكل شيء في عصرنا الحديث له طابع نسبي، ومع اقتراب الشخصية من القارئ تزداد تدورًا وحيوية فيتوهم القارئ أنها شخصية حقيقية.

3. الشخضية النمطية (النموذجية)

هناك طريقة ثالثة لرسم الشخصية القصصية لا يكون الاهتمام فيها منصبًا على الشخصية ذاتها بوصفها غاية، وإنما يتخذها القصاص وسيلة لإظهار صفة معينة، أي أن الشخصية عنده تصبه مجرد رمز يرمز إلى صفة من الصفات، أو آلة توضح سمة من السمات، فلا تكون شخصياته رجالًا، وإنما تكون صفات لشخصيات في صور رجال، بحيث لا يشعر القارئ بالشخصية ذاتها، وإنما يحس بالصفة أو السمة التي يريد الكاتب إظهارها.

4. الشخصية الواقعية

وتحمل صفات ومزايا المجتمع، وقدأكثر الكتاب من وصفها وأسهبوا في تفصل مزاياها، لكي تبدو مقنعة وحية، ليس باختلافهاعن الكل، بل لأنها منتزعة من هذا الكل، وينطبق ذلك على الأحداث، فهي تتشابه مع الواقع بتسلسلها السببي وتدرجها الزمني.

أما في الرواية التيار، فإن الشخصية تقدم نفسها وتكشف خباياها بلغة متميزة، فتتبدى في كل لحظة مختلفة عن اللحظات الأخرى، وتصطبغ في كل لحظة بنفسيتها، وبذلك تكتسب اللحظة خصوصيتها . فرواية التيار تلتزم بالبحث الصوفي عن الحقيقة، فهي تقديم الشخوص كذوات متفردة تسعى إلى تحقيق الكمال أو المعرفة المتميزة

بأساليب مغايرة للطرائق المعهودة، ولذلك يظهر تعامل هذه الشخوص مع الخارج مركبا إذا لم تعد إلى وعيها، وغامضا إذا لم يكشف من داخلها .

5. الشخصية الميتة

وهي الشخصية التي تجاوزتها الأحداث، ولكنها تصر على صلاحيتها لأن تكون هي الإجابة المناسبة لما تتطلبه هذه الأحداث، ولذلك فهي تقف حجر عثرة في طريق المجتمع، وتسد الطريق في وجه كل تقدّم ممكن . وهي في ذلك تختلف عن الشخصية الثابتة التي تساعد على حركة الشخصيات النامية وتطورها.

6. الشخصية المتناقضة

هذه الشخصية قد تكون أكثر حيوية وعطاءً في دلالاتها النفسية، بما تقدمه من نماذج من البشر يتفردون بحالات شعورية خاصة، تستحق الدراسة والتأمل والكشف، وقد تكون هذه الحالات نتيجة لأمراض نفسية موروثة أو مكتسبة، أو نتيجة للإحساس بالإحباط، وفقدان التجاوب مع المد الاجتماعي.

التربية الإسلامية

مفهوم التربية الإسلامية وأهدافها

قال الأستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي: إن كلمة تربية مأخوذة من "ربا" يربو، بمعنى "نما" ينمو، أو "يزيد"، ومن معاني التربية: بلوغ الشيء كماله على وجه التدريج. ولم يعرف استخدام لفظ "تربية" إلا في العصر الحديث، إذ كان العرب في القديم يستخدمون لفظ التأديب، وكانوا يطلقون على المعلم اسم المؤدب. ولقد ورد مفهوم التربية بمعناها الحديث في القرآن الكريم في موضعين اثنين، أحدهما في آية أربعة وعشرين من سورة الإسراء، والثاني في آية ثمانية عشر من سورة الشعراء. والتربية بوجه عام هي تشكيل اتجاهات الأفراد وفق قيم معينة وإعانتهم على تكوين النظرة السليمة إلى الحياة، وهي

تقترن بالتعليم الذي يصقل ملكات هؤلاء الأفراد وينمي مواهبهم واستعداداتهم في شتى المجالات.

وقال غريد الشيخ محمد في معجمه: التربية هي تنمية قوى الإنسان الطبيعية والعقلية والأدبية والفنية تنميةً تعدّه لنفع نفسه ومجتمعه، كما تكسبه الجدارة الاجتماعية اللازمة لمواجهة محيطه. وعلم التربية هو علم يُعنى بفنّتثقيف الأولاد وتهذيبهم وتنشئتهم . ومنه الربّاني وهو منسوب إلى الربّ، بزيادة الألف والنون للمبالغة عند قول ابن الأثير. قال: وقيل: هو من الربّ، بمعنى التربية، كانوا يُربّون المتعلّمين بصغار العلوم، قبل كبارها. والرباني:العالم الراسخ في العلم والدين، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله . وأصل الربّ، التربية: وهي إنشاء شيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال: ربّه وربّاه وربّبه، فالربُّ مصدر مستعار للفاعل. ولا يقال الربّ مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، قال تعالى: (بلدة طيّبة وربٌّ غفورٌ).

أما التربية الإسلامية، فجاء معناها تنمية ملكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغ كماله العقلي والنفسي، وتنمية قدرات المجتمع كذلك من أجل تحقيق تطور أفضل، وتقدم اجتماعي أكمل، وفق المبادئ والقيم الإسلامية.

الأهداف التربوية

وتنقسم الأهداف التربوية إلى قسمين رئيسين هما (الأهداف الأغراض)، و(الأهداف الوسائل). القسم الأول يشتمل على الأغراض والمقاصد النهائية التي يراد من التربية إنجازها وتحقيقها على المستويات الفردية والاجتماعية والعالمية. أما الثاني فهو الذي يحتوي على الوسائل والأدوات الفعالة لتحقيق الأول (الأهداف بمعنى الأغراض). ولا غنى لأي من القسمين عن الآخر. فالأول أي الأهداف بمعنى الأغراض دون وسائل؛ نوع من الأمنيات البعيدة المنال، والتطلعات المعوقة للإنجاز، والثاني أي الأهداف بمعنى الوسائل دون أغراض؛ تنقصها الدوافع المحركة والغايات الموجهة. فمثلًا تعليم درس من

التاريخ هو هدف من (الأهداف الوسائل) التي توصل إلى هدف نهائي من (الأهداف الاغراض) وهو الكشف عن قوانين الله في الاجتماع البشري.

وإذا نرى اليوم تربية المجتمع المعاصرة التي قد أخذت كثيرا من نظام التربية الحديثة الغربية، فتراءت لنا مشكلة خطيرة في أهدافها أي أن بعضهم يميلون إلى "الأهداف الوسائل"، بل ذهبوا إلى أن "الأهداف الأغراض" معوقة لعمليات النمو والتقدم ومعطلة للكشف والابتكار. في مسئلة "تسخير البحر" مثلًا في قوله تعالى: (الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) . وكذلك في آية أربعة عشر من سورة النحل، أنهم قد وقفوا عند"جريان الفلك" و"أكل اللم الطري" و"استخراج الحلية" فقط، بزعمهم أن هذه الأهداف من وسيلة "التسخير"، لا تحتاج إلى أمثال "شكر الله" و"الإيقان بالله" و"الحمد لله". فهي في حقيقتها وسائل بلا غايات. ونظيره من بعض المسلمين الذين يرون الصلاة والزكاة والصيام وغيرها هدفًا ووسيلة، دون هدف نهائي. أي أن "الاهتداء" هدف لوسيلته (إنزال القرآن) التي تحقق بها هدف نهائي وهو "لعلكم تفلحون" هكذا وصف المتقين قد ذكرته الآيات الخمسة الأولى من سورة البقرة في سلسلة منسجمة متجهة.

أما التربية الإسلامية، فرأت الآيات سلسلة متدرجة متناسقة من أهداف التسخير، أي كل حلقة في هذه السلسلةهي وسيلة إلى ما بعدها حتى تبلغ الحلقة الأخيرة التي تشكل الغاية والمقصد النهائي. فـ"جريان الفلك" هدف لـ"تسخير البحر". وهذا "التسخير" هو وسيلة لتحقيق هدف يليه هو "الابتغاء من فضل الله"، وهذا الهدف الثاني وسيلة لتحقيق الهدف النهائي وهو "شكر الناس لله". في كلمة أخرى، مهما تفرعت وتعددت الأهداف أو الوسائل، فإنها تنتهي إلى هدف نهائي واحد هو "شكر الله وعبادته". بسبب هذه الوحدة في الهدف التربوي النهائي كان وصف محور العقيدة الإسلامية بالتوحيد.

التربية الإسلامية بالقصة

كانت القصة وسيلة من وسائل التربية بتعدد أشكالها أو ألوانها في التعبير عن شخصية الإنسان والانفعالات النفسية والظواهر الاجتماعية أو السياسية وغيرها. والقصص القرآنية أصبحت وسيلة مفضلة مميزة في التربية الإسلامية التي تعطي تأثيرًا وجدانيًا عميقًا في نفوس الذين يتعمقون ويتدبرون فيها.هكذا نرى الشعراء والأدباء المسلمين إثر نزول القرآن بقصصه المعجزة قد تأثروا بها تأثّرًا ضخمًا حتى نشأتأبياتهم الشعرية أو أعمالهم الأدبية تتفاعل مع عاطفة الإنسان بقيم إسلامية سامية، ولا يقل منهم أن يتخذوها وسيلة الدعوة بفن من فنونها المتنوعة الجذابة قد استغرق فيه القارؤون أو السامعون. فما هو السبب من انفعال النفس أو انبعاث الخيال والعاطفة لهذه المشاهد والحوادث المعبرة من موقف إلى موقف، من حال إلى حال، ومن شخصية إلى شخصية ؟ ها هو سحر يسحر النفوس.

أيا كان الأمر فسحر القصة قديم قدم البشرية، وسيظل معها حياتها كلها على الأرض .. لا يزول ! وأيا كان الأمر فلا شك أن قارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفًا سلبيًا من شخوصها وجوادثها. فهو – على وعي منه أو غير وعي – يدرس نفسه على مسرح الحوادث. ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك، يروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق، أو يستنكر، أو يملكه الإعجاب.

والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم. وهو يستخدم كل أنواع القصة: القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور.

والقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم؛ والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس؛ والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة. فهي سجل حافل لجميع التوجيهات، وهي كذلك – على قلة عدد الألفاظ المستخدمة في أدائها – حافلة بكل أنواع التعبير الفني ومشخصاته: من حوار إلى سرد إلى تنغيم موسيقي. إلى إحياء للشخوص، إلى دقة في رسم الملامح، إلى اختيار دقيق للحظة الحاسمة في القصة لتوجيه القلب للعبرة، والتوقيع عليه بالنغم المطلوب.

القيم التربوية الإسلامية في شخصيات قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ

نبذة رواية "رحلة ابن فطومة " لنجيب محفوظ

تحكى هذه القصة (1983م) عن رحالة عربي هاجر من بلاده بعد فشلة في الزواج من محبوبته إلى دار الجبل بحثًا عن الكمال و العدالة المفقودين في بلاده. يشجعه على ذلكأستاذه الذي فشل في إكمال الرحلة بسبب الحرب التي كانت تدور بين البلاد المتجاورة. ويمر في رحلته على عدة بلاد وبتعطل في رحلته أكثر من مرة بسبب زواجه وسجنه. يمر في رحلته على بلاد المشرق حيث يلتقي بعروسة ويتزوجها وينجب منها خمسة أطفال. ولكنه يفرق بينه وبينهم بسبب محاولته تعليم أطفاله عقيدته. ثمبعد ذلك يرحل إلى البلد التالية وهي بلاد الحيرة. يرى فيها أن الملك يعتبر تمثيل لله وتدور حرب بين الحيرة والمشرق وتنتصر جيوش الحيرة وتصبح عروسة إحدى السبايا ويشتريها. ولكن الحكيم الأكبر للملك يريدها لنفسة فيتسبب في دخول ابن فطومة إلى السجن المادة عشرين عامًا. يقوم انقلاب على الملك الحالي ويأتي ملك جديد و يحرر ابن فطومة. يترك دار الحيرة راحلا إلى "بلاد الحلبة" حيث يجد إن الشعوب شديدة الحرية الدينية وإن كل الديانات تتعايش في البلد بما فيها الإلحاد. يتزوج للمرة الثانية من سامية وهي ممرضة وينجب منها. يرحل إلى دار الأمان بحثًا عن استكمال رحلته ويرى في دار الأمان إنّ كل

فرد مشجع على التجسس على صاحبه. و إنّ كل فرد لا يحق له إبداء آرائه في غير مجاله و عمله ثم يتركها راحلا إلى بلاد الغروب التي تعتبر المحطة النهائية قبل وصوله إلى دار الجبل ومنها يرحل إلى دار الجبل بسبب الحرب الدائرة وبعد سفر شهر متواصل يصل بوابات دار الجبل وعندها يصل إلى نهاية الرواية ويترك القارئ لاستنتاج النهاية.

تحليل الشخصيات في قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ

بالنسبة إلى هذه القصة ربما قد استلهم "محفوظ" رحلة ابن بطوطة الشهيرة، للرحالة الأشهر في التاريخ العربي، "ابن بطوطة الطنجي" رحالة القرن الرابع عشر الميلادي، الذي غادر طنجة سنة 1326م قاصدًا الحج وقضي خمسة وعشرين عامًا من الترحال قبل أن يعود إلى وطنه بأخبار الممالك والمسالك وأخبار البشر والعباد في كل البلاد التي قام بزيارتها والتجول فيها .

كما هو المعروف ركز "ابن بطوطة " اهتمامه على وصف الحياة الاجتماعية والدينية للبلدان التي زارها, فتحدث عن عادات الناس وتقاليدهم، وعباداتهم، ومقدساتهم. أما "نجيب محفوظ" فقد تجاوز ذلك كله، وهو يكتب روايته على شكل رحلة، فجاءت "رحلة ابن فطومة" مؤلفة من بداية يمثلها "الوطن"، ونهاية تمثلها "دار الجبل"، وخمسة بلاد بينهما، هي بلاد المشرق، وبلاد الحيرة، وبلاد الحلبة، وبلاد الأمان، وبلاد الغروب.

وقد رتب نجيب محفوظ البلدان التي زارها بطل الرواية "ابن فطومة" ترتيبًا يستند إلى تعدد الأنظمة السياسية و الاجتماعية والدينية، ويراعي مستوى التطوّر والتقدّم، فالوطن، وهو مسقط رأس الرحالة يمثل (دار الإسلام) التي تشيع فيها مظاهر التخلف، والانحطاط، والظلم، والاستبداد، و(دار المشرق) وثنية، وبدائية،كبلدان القارة الإفريقية، و(دار الحلبة) تمثل البلدان الرأسمالية، و(دار الأمان) تمثل البلدان الاشتراكية، أما (دار الغروب) فهي "المطهر" الذي لا بد من عبوره للوصول إلى (دار الجبل) التي تمثل حلم

الإنسان في تجاوز النقص الذي يعتور البلاد الأخرى؛ الواقع و الحياة، والوصول إلى الهدف النهائي، وهو السعادة المطلقةأو الكمال.

وهذه أحداث الرواية تدور في جو مشابه لما كان في رواية (ليالي ألف ليلة)، مدينة تجارية إسلامية مزدهرة، قد تكون القاهرة أو بغداد أو دمشق أو أي حاضرة من حواضر العالم الإسلامي في تلك الفترة الوسيطة من تاريخ الإسلام.

وحذا "نجيب محفوظ" حذو ابن بطوطة في رحلته، فبطل الرواية "قنديل بن محمد العنابي" الشهير "ابن فطومة" نسبة إلى أمه، يقوم برحلة يزور خلالها بلدانًا كثيرة هي: (البلاد المشرق)، و(بلاد الحيرة)، و(بلاد الحلبة)، و(بلاد الأمان)، و(بلاد الغروب)، ويصف أثناء ذلك مشاهداته.

وقد اهتم قنديل –كما فعل ابن بطوطة – بوصف الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للبلدان التي زارها في رحلته.

يتحدث "ابن فطومة" عن بلاد (المشرق) موضحًا أنها بلاد وثنية، يعبد أهلها القمر، وفيها النساء والرجال "عرايا تمامًا كما ولدتهم أمهاتهم، والعري عادة مألوفة لا تلفت نظرًا، ولا تثير اهتمامًا، والأجساد نحاسية اللون، نحيلة لا من رشاقة، ولكن من قلة الغذاء فيما يبدو وإن غلب عليهم الرضى بل والمرح . "ثم يتحدث عن عاداتالزواج، حيث يقدم الأب ابنته للشاب الذي يعجب بها، فيقضيان فترة تطول أو تقصر، ثم تفترقان، فتستحوذ الفتاة على الطفل الذي ينسب إليها. ثم يتحدث عن النظام السياسي قائلًا: "ودار المشرقعبارة عن عاصمة وأربع مدن لكل مدينة سيد، هو مالكها، يملك المراعي والماشية والرعاة، الناس عبيده، يخضعون لمشيئته نظير الكفاف من الرزق والأمن. "

ويصف "ابن فطومة" في رحلته ما شاهده في (بلاد المشرق)، في ليلة عبادة القمر :

"وما إن غابت الشمس في ناحية حتى تهادى البدر صاعدًا من الناحية المقابلة عظيمًا جليلًا عذبًا واعدًا، فهلل الناس حتى ذعرت الطيور في الجو. مضى يصعد مرسلا ضوءه الذهبي على الأجساد العارية الباسطة أذرعها كأنما لتقبض على الضوء السابح. ومر وقت غير قصير في صمت خاشع حتى استقر القمر في كبد السماء، عند ذلك ند صوت منذر طويل عن بوقفي مكان ما فانشق طريق في شمال الدائرة موسعًا لقادم وقور، وازداد الصمت صمتًا، ولبث الرجل فترة جامدًا، ثم ترك عصاه تسقط عند قديمه، ورفع رأسه، وذراعيه نحو القمر، فتبعته الآلاف المؤلفة من الأذرع. وصفق بيديه فانطلق بقوة وشمول، فكأن الأرض والسماء، وما بينهما قد شراكت فيه منتشية بسكر الغناء ووجد العاشقين. وانسربت إلى أعماقي نغمة مفعمة بالحرارة، مميزة الوحشية والخشونة، مجللة بدوي وأصداء، فجاش صدري بانفعالات ترتعش باللذة والرهبة، وتصاعدت لذروة الانفجار، ثم أخذت في الهبوط الوئيد، خطوة في أثر خطوة، حتى استنامت للهدوء وغاصت في الصمت. وأنزل الكاهن ذراعيه ونظر فيما أمامه فتبعته الأذرع، إليه الأعين. والتقط بوقار عصاه فقبض عليها بيسراه، وأنشأ يقول :- هاهو الإله يتجلى بجماله وجلاله، يحضر في ميعاده، لا يتخلى عن عباده، فنعم الإله وهنيئًا للعباد. ندت عن البحر المحيط همهمة شكر، فواصل الكاهن حديثه : - إنه يقول لنا في دورته أن الحياة لا تعرف الدوام، وأنها نحو المحاق تسير، ولكنها طيبة للطيب، وبسمة للباسم، فلا تبددوا ثروتها في الحماقة. انطلقت من الحناجر زغاريد كالشهب، وصفقت الأيدي على إيقاع راقص. "

واستمر الكاهن يقول: "حذار من الخصام، حذار من الشر، الحقد يفري الكبد، النهم يتخم البطن ويجلب الداء. الطمع هو وبال، امرحوا، والعبوا، وانتصروا على الوساوسبالرضى. "

تتخذ العلاقة بين رواية "رحلة ابن فطومة" و "رحلة ابن بطوطة" أشكالًا متعددة، فعلى مستوى العنوان اختار "نجيب محفوظ" لروايته عنوانًا يتناص مع مؤلف

بعينه، هو (رحلة ابن بطوطة) وإذا انطلقنا من أنّ نجيب محفوظ لا يكتب "رحلة "، وإنما يكتب نوعًا جديدًا هو الرواية، خلصنا إلى أنه يكتب (رواية على شكل رحلة).

وإذا كان هدف "ابن بطوطة" من رحلته هو أداء مناسك الحج، فإن الدافع إلى قيام "ابن فطومة" برحلته هو تحصيل المعارف والعلوم؛ الإنقاذ الوطن من الأمراض التي لحقت به. يقول للشيخ حمادة السبكي: "من أجل ذلك قمت برحلتي يا شيخ حمادة، أردت أن أرى وطني من بعيد، وأن أراه على ضوء بقية الديار، أستطيع أن أقول له كلمة نافعة. "

ولما كان وطن ابن فطومة متخلفًا، وأهله جاهلين، فإن الرحالة ابن فطومة – وهو يسعى لتخليص وطنه مما هو فيه، بتقديم المعرفة له – إنما يسعى إلى الخلاص الجماعي، وهو بذلك، يقف على النقيض من "ابن بطوطة" الذي سعى في رحلته إلى الخلاص الفردي؛ بالحج إلى بيت الله.

الصراعات في قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ

كانت الشخصية ترتبط بالحدث أو الصراع في الرواية ارتباطًا قريبًا، فلا بد أن نتعرف الأحداث أو الصراعات المضمونة في هذه الرواية. فتحتوي هذه الرواية على الحدث والصراع والذروة التي تتصور سلسلة الأحداث في حبكة الرواية.

الحدث أوالصراع الأول:

حينما خطب قنديل حليمة وجعلها زوجة، فجأة قرر الوالي– هو الملك الثالث في ذلك العصر – أن يجعل حليمة زوجته الرابعة. وكان أبو حليمة– الشيخ عدلي الطنطاوي– قبل الخطوبة من الوالي. وتسبب هذه القلق والألم الشديد في قلب قنديل حتى يهمس في ذهنه أن الدين خانه، وأمه وحليمة خانتاه، فألا لعنة الله على هذه الدار الزائفة. ثم بداكل شيء كالحًا، وبدءا من أبسط الأفراد مثل الشيخ عدلي الطنطاوي حتى الوالي نفسه، مرورًا بأناس ومعاملات تستحق الطوفان ليحل محلها عالم جديد نظيف. لم يتأثر

بعطف أمه وحزنها، ولا حكم الشيخ مغاغة التي ذرها عليه، فبدت له الدنيا صفراء كريهة لا تحتمل ولا تعاشر .

نستطيع أن نقول أنّ هذا الصراع النفسي؛ لأنه يتعلق بشعور الحزن والغضب الممتزجا في قلب قنديل لأن قلبه رفص على ما حدث .

الحدث أو الصراع الثاني:

حدث هذا الصراع حين أكد قنديل إلى زوجته الثانية – عروسة – أي بعد الفرق مع زوجته (حليمة) في قريته، عن تربية وتأديب أولاده أنه أراد أن ينقذ روحهم كما يتمنى أن ينقذ روح زوجته ذات يوم، يعني أراد قنديل أن يأدب أولاده ويخرج زوجته من الكفر كعادات القوم في تلك الدار – المشرق- أي يعبدون بدرًا كاملاً ويحملهم إلى الإسلام، بل رفضت عروسة وردت بكلام أنها لن سمحت له بهذا أبدًا، فبدت صارمة عنيدة حتى جزع قنديل خوفًا على حبه. وعرف أبو عروسة تلك الحديثة فغضب وطرد قنديل من قريته أي من المشرق. ثم خيل إلى أن النبأ تسرب إلى الخارج. فظهر القلق في نفس قنديل وقال "البناء مهدد بالانهيار". فجأة جاء ضابط شرطة وأراد أن يسجن قنديل على ما فعل، ثم قال لقنديل أن أمر السيد صدر بالتفرقة بينه وبين رفيقته وأبنائها، وأن يرحل عن المشرق مع أول قافلة. ولكن قنديل محجوز مع ضابط شرطة وسيظل تحت الحراسة حتى تلحق بالقافلة. على ما حدث، يكون قنديل حزنًا شديدًا جدًّا ولا يشد على محابس دموعه .

فهذا الصراع يسمى بالصراع الاجتماعي؛ لأن الصراع حدث بين قنديل وأمر السيد في تلك الفترة، أي غضب أمر السيد وزعم أن قنديل أهان دينه أو عقيدته – وهي الحرية في الحياة وفي كل جوانبها ويؤمن أم السيد وقومه العقل إلههم و الحرية رسولهم – وهذه العقيدة الضالة عند الإسلام. وفي الوقت نفسه لا ينكَر وجود الصراع النفسي بين قنديل وعسورة وأبيها. ونستطيع أن نقول هنا أن الذروة من تللك الأحداث هي حينما يُكَلَّف قنديل معاناة ثقيلة وهي يقبع في السجن لعدة سنوات حتى بلغ شيخوخه.

أنواع الشخصية في قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ

قد تصورت لنا عدة شخصيات في هذه القصة حيث تلعب دورًا مهما في تسلسل الرواية من فصل إلى فصل آخر. كانت الشخصية في هذه القصة تُصنَّف إلى نوعين هما الشخصية الأساسية والشخصية الثانوية أو الزائدة. فالشخصية الأساسية هي الشخصية التي تكون البطل الأساسي من البداية إلى النهاية. فمن الشخصيات الأساسية هنا هي قنديل محمد العنابي، ثم عروسة لأنها ذُكرت أحيانًا في كل جزء أو فصل من القصة.

أما الشخصية الثانوية، فهي التي تكون أبطالا زائدةً أو الذين يتفاعلون مع الشخصية الأساسية. فنستطيع أن نذكر هنا الشخصيات الثانوية في كل جزء من القصة وهي في خمسة جزوء:

1. في الوطن، منها:فطومة الأزهري: وهي أم قنديل، والشيخ مغاغة الجبيلي: هو أستاذ قنديل الذي علمه العلوم الدينية والعلوم الإنسانية، وحليمة: وهي المرأة التي يحبها قنديل وتزوجها، والشيخ عدلي الطنطاوي: هو أبو حليمة، والوالي: وهوالملك الثالث الذي يملك السلطة المطلقة ولا يقدر أحد على يعارضه، ثم القاني حمديس: وهو صاحب القافلة الذي يرافق قنديل و يؤدي رحلته إلى دار المشرق.
2. في دار المشرق، منها: أصحاب قافلة: وهو نخبة من الرفاق التجار أي أربع أشخاص الذين يتفاعلون مع قنديل في الحوار حين توقفوا للصلاة في رحلتهم إلى المشرق، والمدير الجمرك: وهو الذي رحب وصول القافلة بصوت جهوري وهي الإعلان لكل قافلة التي دخلت إلى المشرق، ودليل يدل طريقًا إلى الفندق، وفام : صاحب الفندق، والكاهن: أي كاهن القمر الذي يتفاعل مباشرة مع إلهه (بدر كامل) في عبادة قومهم، وعروسة: المرأة في المشرق التي بدلت مكانة حليمة في قلب قنديل على الرغم من أنه متفرقة معه في المستقبل، وأبو عروسة وهو الذي قدم عروسة لقنديل لأول وهلة، وأمر

السيد : وهو أكبر السادة الذي لا هيمنة على أحد منهم، ثم ضابط شرطة :وهو الذي أمره أمر السيد لأن يعتقل ويسجن قنديل.

3. في دار الحيرة، منها: هام: وهو صاحب الفندق في دار الحيرة، وصاحب قافلة: وهو الذي دعا قنديل أن يستمر رحلته مع قومه إلى دار الحلبة، والحكيم ديزنج: وهو رجل قوي وهو من المقربين إلى الإله، ومدير الشرطة: وهو الذي يتهم قنديل بالسخرية من دين دار الحيرة، أي الدين الذي يعبد ملك الإله، هوه الخالق وهو الملك.

4. في دار الحلبة، منها: قلشم: وهو مدير الفندق، والشيخ حمادة السبكي: وهو أهل حلبةالصميمين الذي يقابله قنديل في المسجد، وسمية: وهي كريمة الشيخ حمادة السبكي وهي طبيبة أطفال بمستشفى كبير، وهي زوجة قنديل في الحلبة، ومرهم الحلبي: وهو حكيم في دار الحلبة الذي ذو مكانة عالية كرئيس البلد.

5. في دار الأمان، منها: فلوكة: وهو مرشد ومندوب مركز السياحة، هوه الشخص الوحيد الذي يُصور ويُذكر في هذا الجزء والذي يتعامل مع قنديل مباشرة.

6. في دار الغروب، منها: الشيخ الذي يعلم الغناء جماعة من نساء ورجال وهو صاحب المجلس، والقائد: وهو من جيش دار الأمان، وجماعة من نساء ورجالاستعدت نفوسها لرحلة إلى دار الجبل (دار الكمال وهو الدار المرغوبة في رحلة الرحالة).

فمن الملاحظ أنّ هناك ستة أماكن أو ديارات أساسية؛ مكان واحد يولد فيه قنديل وأنشأ، وهو الوطن الذي يُسمى بدار الحكمة أو دار الإسلام، وخمسة ديار زارها قنديل في رحلته عبر سنوات، وهي: دار المشرق، ودار الحيرة، ودار الحلبة، ودار الأمان، ودار الغروب. أما الأماكن الخاصة التي زارها قنديل أحيانًا في رحلته إلى كل دار، منها: المكان الذي يتوقف فيه قنديل وقافلة للطعام والوضوء والصلاة والسمر، والفنادق، والأسواق، وقصور الممالك، والطرق في كل دار، ومعبد قوم المشرق، والمسجد في دار الحلبة، والسجن في دار المشرق ودار الحيرة، وأرض معشوشبة نثرت على أديمها أشجار

النخيل والفاكهة من البشر، وتتخللها عيون مياه وبحيرات، وهذا المكان كما صوّر في دار الغروب، والصحراء الأوسع كأنها بلا نهاية وهذا المكان في دائرة قبل دار الجبل.

وهناك أماكن أخرى ذكرها المؤلف في تصوير القصة في الجزء الأول (الوطن) وهي بيت قنديل: مكان يدرس فيه قنديل العلوم إلى أستاذه الشيخ مغاغة الجبلي، وبيت حليمة: مكان متهرء حيث خطبها قنديل فيه. وفي الجزء الثاني (دار المشرق) ذُكر ميدان المكوس: دائرة في وطن قنديل، وهو المكان الذييتوقف فيه قنديل وقافلة للطعام والوضوء والصلاة والسمر في رحلتهم إلى دار المشرق، وفندق فام في المشرق.

القيم التربوية الإسلامية في شخصيات قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ

والقيمة — value – واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقامَ الشيء. والقيمةُ: ثمنُ الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيءُ واستمرّت طريقتُه فقد استقام لوجهه. وقيمة الإنسان: قامتُه، طولُه. هي أهمية كبرى في حياة البشر لبناء الفرد والمجتمع. والقيم التربوية الإسلامية التي جاءت بها القصة تنعكس من شخصيات أبطالها الرئيسة أو الثانوية. ففي هذا البحث قدم الباحث عدة قيم مهمة تتضمنها قصة "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ كما يلي:

قيمة التعلم والتعليم

ظهرت هذه القيمة في تفاعل قنديل مع أستاذه في محادثة أنيسة أي حينما سأل قنديل أستاذهمغاغة الجبيلي عن الإسلام بقوله: "إذا كان الإسلام كما تقول فلماذا تزدحم الطرقات بالفقراء والجهلاء ؟" . وكذلك ما طلب قنديل لأستاذه أن يتحدث له عن زيارته إلى ديار: المشرق والحيرة والحلبة — وهي ديار وثنية عند أستاذه — وعن دار الكمال في سر مغلق (دار الجبل). وكان أستاذه يردّه بشغف. فبهذه المحادثة المثيرة حصل قنديل معلومات كثيرة مفيدة.

وردت هذه القيمة أيضًا في مقابلة مهمة مؤثرة بين قنديل وإمام المسجد في دار الحلبة (الشيخ حمادة السبكي) بعد قاما بصلاة الظهر جماعة في المسجد. قد حصل قنديل معلومات كثيرة حول دار الحلبة من الشيخ الذي أخبر له عن "حرية" كما يلقب أهل الحلبة مكانهم دار الحرية التي تجمع فيها ديانات وقلة من الوثنيين في بعض الواحات، وعن نظامفي انتخاب رئيس الدولة، وعن حكم نسبي محيط بها . تارة سأل قنديل للشيخ، وتارة قدّم رأيه. وقع تبادل الآراء بينهما في جو أنيس. وانتهى الحديث بينهما إلى بيان قنديل عن برنامج رحلته كما سأله الشيخ فدعا له. قيمة التعلم والتعليم فيها مؤثرة.

قيمة الجهاد والاجتهاد

تجسدت قيمة الجهاد في عزم قنديل القوي الذي أراد أن ينشأ ولده الأكبر في تربية إسلامية، أي أن ينقذ روح ولده وروح زوجته (عروسة) من ظل الكفر وجاهلية المشرق، كما جاهر به لزوجته: "إني أنقذ روحه كما تمنيت أن أنقذ روحك ذات يوم. "..

وبذل قنديل جهده أن يرحل إلى ديار رحالة وطالبًا عدل الحياة وسعادتها وعهد أن يعود إلى وطنه بإصلاحه. وقد جاهر قوله بتصميم: "ليس هذا بالكثير على طالب الحكمة، أريد أن أعرف، وأن أرجع إلى وطني المريض بالدواء الشافي" . وأكّد هذا أيضًا للشيخ حمادة السبكي في دار الحلبة: "قمت برحلتي يا شيخ حمادة، أردت أن أرى وطني من بعيد، وأن أراه على ضوء بقية الديار، لعلي أستطيع أن أقول له كلمة نافعة .." . ويبدو اجتهاده في طلب العلم هدفًا من أهداف رحلته كما قال لحكيم الحلبة (مرهم): ".. ولكني محب للمعرفة، ومن أجل ذلك قمت بهذه الرحلة .." . وأكّد مرارًا هدفه النهائي الحقيقي كرحالة بقوله: "دار الجبل ليست بغايتي الأخيرة، ولكني أرجو أن أرجع منها إلى وطني بشيء يفيده. "..

في الجزء الأخير لهذه القصة قد أخبرنا عن إرادة قنديل للوصول إلى الدار الأخيرة، دار الجبل أي دار الكمال، لا يأخذها استسلام وملل. فحينما غادر إلى تلك الدار مع قافلة دار الغروب بمسافة طويلة أسابيع وأسابيع ومروا بصحراء عريضة كأنها بلا نهاية حتى توقفوا في سفح الجبل وهو مكان انتهى سير القافلة بأجمالهم. والرحلة ستستمرّ بالأقدام بسبب الممر الجبلي الضيق لا يتسع لناقة أو جمل. ففي هذه المشقة الشديدة قرر قنديل أن تكمل مغامرته الأخيرة بعزيمة لا تقهر . فها هو عزم قوي واجتهاد متين متدفق في قلب صاحب الرحلة للوصول إلى دار العدل والحرية والنقاء الشامل كما صوّر له مدرب الحائرين في مجلسهم في دار الغروب.

قيمة الإيمان والدعوة

انعكست هذه القيمة عن قول أم قنديل لقنديل: "كأنك لا ترى إلا الجانب القبيح من الحياة ! وقولها أيضًا: الله صانع كل شيء، وله في كل شيء حكمة .."، واستمرّت قولها تنصح قنديل بما أصاب: "الله يطالبنا بالرضا في جميع الأحوال". تبدو لنا عبارات عميقة منبثقة من شخصية أم المربية لابنها، أي إن التعبير يقوي الإيمان بخالق كل شيء وبما قدّر الخالق لعباده.

تصورت لنا هذه القيمة أيضا في حوار نشيط متبادل بين حكيم العاصمة (دار المشرق) وقنديل حول الإخبار عن نظامه في داره، وقد خالفه قنديل بقوله: "يوجد نظام أفضل يوفر للناس كافة حقوقهم ويعدهم للدفاع عن دارهم عند الحاجة" ، أي فيه قيمة الدعوة إلى نظام حسن. وعندما قدم له قنديل تلميحًا: "إنك رجل كريم، إني أعجب كيف تعبد القمر وتتصور أنه إله ؟!" وأجاب الحكيم: "إنه نراه ونفهم لغته"، ثم قال لقنديل: "هل ترون إلهكم؟" فأجابه قنديل: "إنه فوق العقل والحواس .." .هذا كلام إيماني تدفق من نقية عقله. فإذ قال الحكيم له: "هو لا شيء"، فاستغفر قنديل ربه ويدعو له. هذه دالة جلية على إيمان قنديل بخالقه قد صرحه بكلام مؤثر.

ظهرت قيمة الدعوة في قول الإمام الشيخ حمادة لقنديل عندما تناول قنديل الغداء مع أسرة الإمام، قال قنديل: "أراك تأخذ برأي أبي حنيفة ؟ وأجاب الإمام: "لا حاجة بنا إلى ذلك، فالاجتهاد عندنا لم يتوقف، ونحن نشرب مجاراة للجو والتقاليد، ولكننا لا نسكر .." . ونظيره من قول سامية لقنديل: "أن إسلامنا لم يقفل باب الاجتهاد، وإسلام بلا اجتهاد يعني إسلامًا بلا عقل. "

قيمة التأمل والنقد

عبّر جزء القصة عن مشاهدة قنديل على عملية عبادة القمر في دار المشرق تحت تسخير الكاهن وهو حكيم العاصمة، ويترنح قنديل من شدة الانفعال، وقبضة الشهوة بعنف على أعصابه الملتهبة، فحينئذ يتذكر قنديل عهد تربيته الدينية والعقلية على يد أستاذه مغاغة الجبيلي . هذه قيمة التأمل.

أما قيمة النقد، فقد تجلّت في أقوال قنديل ردّا على ما سمع من المخبرين عن حالة ديار ونظامها، سواء كانت لم يصادفها أم صادفها في مشاهدات. فقوله النقدي عن دار المشرق لكاهن القمر (حكيم المشرق): "إنك رجل حكيم، إني أعجب كيف تعبد القمر وتتصور أنه إله ؟!" . ومن أقواله عن دار الحيرة لحكيمها (ديزنج) الذي قد أمره أن يعيش بإرشاد الإله (حكيم الحيرة) وتوجيهه: "لذك يشتد عجبي من أولئك المتمردين الذين رأيت رؤوسهم المعلقة!"، وسؤاله النقدي لأستاذه الشيخ مغاغة الجبيلي: "أيهما أسوأ يا مولاي، من يدعى الألوهية عن جهل أم من يطع القرآن لخدمة أغراضه الشخصية ؟!" . أما كلامه عن دار الحلبة:"دار مذهلة ومزلزلة للدماغ"، "هذه حرية جاوزت الحدود الإسلامية"، و"لو بعث نبينا اليوم لأنكر هذا الجانب في إسلامكم. "..

قال قنديل مخالفًا لحكيم الحلبة الذي جاهر بأن الحرية مسئولية لا يستطيع الاضطلاع بها إلا القادرون: "أليست للرحمة قيمة مثل الحرية ؟!" . وشبيهه من قوله

حكيم الحلبة النقدي لقنديل: "لديكم مبدأ عظيم ولكنكم لا تملكون الشجاعة الكافية للاعتراف به. "!

ظهرت هذه القيمة أيضًا من تفاعل الإمام حمادة مع قنديل في الحديث عن الاعتراف بأساس أخلاقي، فقال الإمام: "انظر يا قنديل وطنك دار الإسلام فماذا تجد به ؟ .. حاكم مستبد يحكم بهواه فأين الأساس الأخلاقي؟ ورجال دين يطوعون الدين لخدمته فأين الأساس الأخلاقي؟ وشعب لا يفكر إلا في لقمته فأين الأساس الأخلاقي؟. "

أما قنديل حينما زار إلى دار الأمان، فقد تعجب بحضارتها الباهرة، بل قد أثارت اشمئزازه لأقصى حد كما قال: "فالخليفة لا يقل استبدادًا عن حاكم الأمان، وهو يمارس انحرافاته علانية، والدين نفسه تهرأ بالخرافات والأباطيل، أما الأمة فقد افترسها الجهل والفقر والمرض، فسبحان الذي لا يحمد على مكروه سواه" . هذا تعليقه التأملي على ما اعتقد سكان دار الأمان بأن الأرض خالق الإنسان ومدخر احتياجاته.

قيمة الصبر

إدخال قنديل إلى السجن في دار الحيرة يعطي قوة خارقة على صبره بما أصاب من تهمة الحكيم ديزنج ورئيس شرطة العاصمة التي لا أساس لها من الصحة، أي قد اتهموا أن قنديل كفر بالإله وهو الحكيم بسبب رفضه على ما يرغب الحكيم في حوز فتاته، عروسة. فقال قنديل مستسلما في هذه الحالة: "لتكن مشئة الله .. فكل ما جاءني من عنده. "

قيمة التفاؤل والتقدم

وردت هذه القيمة في تعبير قنديل عن عودته إلى وطنه قانعًا من الغنيمة بالإياب أو استمرار رحلته إلى دار الحلبة وإلى داره النهائية، دا الجبل، بل اعترف أن نفسه معدودة من الأموات لا أحد يتنظره أو يهمه مرجعه، فقرر أن يستمر رحلته من الحيرة إلى دار

الكمال جوّالًا باحثًا سعادة الحياة وعدلها فيها رغم أن أشواقه إلى زوجته التي قد خالفته في أمر دينه ما تزال في ذهنه. وذلك قد جاهربقوله: "كلا لن أرجع، لن ألتفت إلى الوراء. بدأت رحالة، سأظل رحالة، وفي طريق الرحلة أسير. إنه قرار وقدر، خيال وفعل، بداية ونهاية. فإلى دار الحلبة وما بعدها حتى دار الجبل. ترى كيف تتبدين اليوم يا عروسة وأنت بنت أربعين ؟!" . هذا واضح أن لقنديل تفاؤلًا وأملًا لتكميل سفره إلى هدفه النهائي .

قيمة الطاعة أو الوعي الديني

تبدو هذه القيمة في حدث من أحداث دار الحلبة حيث يُتصف بانتباه البطل الرئيس (قنديل) على صوت مؤذن يدعو إلى الصلاة. فبثّ قلبه واندفع على هدي الصوت حتى وجد جامعًا عند مدخل شارع. فدخل المسجد وتوضأ، ووقف في صف وراح صلاة الظهر في فرة متوهجة بعين دامعة، وصدر منشرح . هذا المشهد الجميل يشيرنا وعيًا دينيًا منبعثًا من الشخص المسلم المطيع إلى نداء دينه بشفافية قلبه. ففيه قيمة الطاعة المنعكسة من رد عفوي مثير.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

قد انتهى هذا البحث بعون الله تعالى إلى عدة نتائج ونقاط مهمة وهي كما يلي:

1. إنّ في جانب وصف الشخصيات قد تجلّى لنا في هذه الرواية العديد من الشخصيات الأساسية والثانوية، منهم البطل الرئيس (قنديل محمد)، وأبوه (محمد العنابى)، وأمه (فطومة الازهرى)، ومعلمه (الشيخ مغاغة الجبيلى)، ومحبوبته (حليمة الطنطاوي)، والإمام الشيخ حمادة السبكي، وزوجته (عروسة)، وشخصيات أخرى يقابلها في كل دار.

2. لقد برع نجيب محفوظ– مؤلف القصة – في وصف أبطال روايته بمزج نوعي الوصف، المباشر وغير المباشر. فنجد طريقة الوصف المباشر واضحة في وصفه لعدة شخصيات منها عندما وصف ابن فطومة شيخه مغاغة الجبيلى بأنه– كان في الأربعين – قويًّا مهيبًا ذا لحية رشيقة عينيه لامعتين ثاقبي النظر.و كذلك أيضا لجأ إلى وصف الشخصيات بطريقة غير مباشرة حتى لا يفقد روايته عنصر التشويق ويثير أيضًا ذهن القارئ ليجعله يتفاعل مع قصته.

3. إن القيم التربوية الإسلامية قد تصوّرت في شخصية البطل الرئيس – قنديل محمد العنابي – بتفاصيلها: قيمة التعلم والتعليم، وقيمة الجهاد والاجتهاد، وقيمة الإيمان والدعوة، وقيمة التأمل والنقد، وقيمة الصبر، وقيمة التفاؤل، وقيمة الطاعة. وكان من أبرزها قيمة التأمل والنقد، أي قد تأمل قنديل في كل مشهد أو أمر غريب منحرف في كل دار يزورها، ونقد ما يخالف مبادئ دينه الحق. وهذه القيم متكاملة ومتجهة إلى هدف واحد، وهو الوصول إلى دار العدل الحقيقي.

ومن التوصيات المهمة لهذا البحث كما يلي:

1. قد بذل الباحث جهده في إنتاج هذا البحث العلمي وهو البحث الذي لا يتخلص من خطأ. وإنّ ما يستفيد منه يصبح مرجعًا للقارئين أو السامعين في مجال الأدب العربي، ومجال التربية الإسلامية، وفي مجال الإدارة التربوية، وغيرها.

2. وكان هذا البحث العلمي مفتاحًا لفتح الدراسات الأخرى حول هذه القضية وخاصة في البحث عن القصص العربية وسيلة فريدة الجذابة في الكشف عن القيم السامية في تربية الإنسان متكاملة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم والحديث النبوي

ابن منظور. لسان العرب. ط1. (بيروت: دار صادر، د.ت).

أحمد فريد. التربية على منهج أهل السنة والجماعة .ط3. (الدار السلفية، 2006).
ألان روب جرييه. نحو رواية جديدة. (د.ن. د.ت).
الربيعي، محمود. قراءة الرواية. (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1989م).
العيد، يمنى. تقنيات السرد الروائي. ط1. (بيروت: دار الفارابي، 1990م).
الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ط3. (القاهرة: جمهورية مصر العربية، 1996م).
الكيلاني، ماجد عرسان. أهداف التربية الاسلامية. ط2. (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث،1988م).
اليوسف، يوسف سامي. الشخصية والقيمة والأسلوب. (د.م. دار كنعان للدراسات والنشر، د.ت).
داود، عزيز حنا. الشخصية بين السواء والمرض. ط1. (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1991م).
ريديكر، هورست. الانعكاس والفعل. (بيروت: دار الفارابي، 1977م).
ذهني، محمود. التذوق الأدبي. (د ن. د.ت).
سلام، محمد زغلول. دراسات في القصة العربية الحديثة. (الأسكندرية: منشاة المعارف، 1973م).
عثمان, عبد الفتاح. بناء الرواية. (مصر: مكتبة السبب، 1982م).
عدس، عبد الرحمن، وآخرون. مدخل إلى علم النفس. ط2. (نيويورك، د.ن. 1986م).
غنايم، محمود. تيار الوعي. (د.ن. د.ت).
قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية. (القاهرة: دار الشروق، 1993م).
مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، (طهران: المكتبة العلمية، د.ت)
محفوظ، نجيب. رحلة ابن فطومة. ط1. (القاهرة: دار الشروق، 2006م).

محمد، غريد الشيخ. المعجم في اللغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديثة. ط1. (بيروت: مؤسسة النخبة للتأليف والترجمة والنشر، 2010م).

مكي، الطاهر أحمد. القصة القصيرة: دراسات ومختارات (القاهرة: دار المعارف، 1999م).

منيف، عبد الرحمن. الكاتب والمنفي (بيروت: دار الفكر الجديد، 1992م).

مينه، حنا. حوارات وأحاديث. (بيروت: دار الفكر الجديد، د.ت).

هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث. (بيروت: دار العودة، 1973م).

Diyanni, R. 1994. Literature: Reading Fiction, Poetry, Drama and The Essay. Pleasantville.